السياسة باعتبارها نقيضا للاخلاق ، فمعنى ذلك ان نسق معاييره اخلاقي في جوهره ، يطرد ويرفض كل ما يسيء الى نقاء الفرد و « شرفه » : « اما الخير الذي كان يعمله أبو جابر دائما ، فهو حفاظه على الاخلاق ، بادئا في بيته · اذ كان من أشد الناس حفاظا على الاخلاق والحشمة » ص ٤٩ · و « كان يرى ان مجرد النظر الى فتاة في الشارع ····· يعتبر من باب الزنا والفجور ، ويستحق صاحبه الجلد عليه » ص ٤٩ ·

اذا نظرنا الى « ابي جابر الخليلي » وفقا لصورته الفنية ، نرى أنه يمثل انسانا معينا يعيش في **حقل نفسي مغلق ومتوازن** · حقل متميز له خصائصه وسماته ،وجذوره ومعاييره، أحكامه وايديولوجيته ، وفي أركان هذا الحقل يتحرك هذا الانسان القروي ويعيش حاملا ذاتيته المحتفظة بقسماتها رغم الخدوش والعفار وعثار الطريق · وعندما جاء الاحتلال الاسرائيلي الثاني بعد الخامس من حزيران ، وصل ابو جابر الى شرط جديد ، ورغم حدة هذا الشرط حاول هذا « الخليلي » ان يتابع « ذاتيته » ، وان يحافظ على الحركة في أركان حقله المغلق والمتوازن · لكن هذا الجهد الارادوي انكسر على الرصيف ، فاهتزت « الذاتية » أمام شروط الحقل الجديد ، وبدأ أبو جابر مسار صراع جديد · في البدء كانت « الذاتية » تتوافق مع حقلها الخاص بها ، وعندما جاء الاحتلال جاء بحقل جديد يناهض الاول وينزع الى الغائه واعدامه ، وكان على أبو جابر ان يدافع عن معاييره المغتصبة ، وعن « فرديته » المهانة ، عن عالمه القديم الذي تطأه اقدام الغزاة : « لطمه على وجهه لطمة أدارت الدنيا أمام عينيه ، وهو يصرخ به محتدا ، وبعربية سليمة « انت واحد كذاب يا ابو جابر ··· كذاب كبير » ص ٥٥ · هكذا تراجعت « الذاتية » وبدأت « الرجولة » بالانحسار وتحول أبو جابر ذو « الانف النسري الانقر » الى مخلوق مذعور يبحث عن الخلاص · الا أن ذاك « الخلاص » لم يكن يسيرا ، فالانحسار لا يمس فردية متوحدة بل ينشب أظافره في كلية العالم المتوازن السابق · كل شيء يغتصب ويفقد « الطهارة » :

ـ « قبل الاحتلال كان هذا الشارع كبقية الشوارع ساكنا » ص ٦٣ ·

ـ « اما بعد الاحتلال ، والعياذ بالله ، أصبح لا يلتقي الا بشبان يعانقون الفتيات ويقبلوهن في منتصف الشارع » ص ٦٤ ·

ـ « ومع ذلك يرى الفاسقين ينتصرون على أمة محمد ويحتلون المسجد » ص ٦٥ ·

ـ « شارع الزهرة هذا ، انقلب الى ماخور شبه رسمي ، ص ٦٦ ·

وتحت شروط الحقل الجديد ، فقد الحقل القديم توازنه وانغلاقه ، وأصبح التوافق بين الانسان وحقله الذاتي مستحيلا ، وسار أبو جابر لاهثا وراء مصالحة مستحيلة ، وفي المسار واللهاث تلاشى وهم الفردية ووهم التوافق ، واكتسبت الشخصية ابعادا جديدة ووقفت على مشارف وعي جديد : فالتوحد ليس خلاصا والفردية الساذجة ليست سورا ، والنصر والهزيمة لا يرتبطان بالدين والاخلاق ، والالتزام بقضية ليس اختيارا طوعيا بل مكتوب في سيرورة الحياة اليومية · وفي هذه السيرورة وصل ابو جابر الى حالة اللا توازن ، وركب قارب المعاناة الذي تدفعه أمواج خارجية ، وكان عليه ان يقبل الحقل الجديد الذي ينفي حقله الاول أو ان يصده ويتصدى له بمعايير جديدة · وعاش معاناة المخاض :

ـ « أنا ···· ابو جابر الخليلي ، أصير جاسوسا لليهود ؟ طب والله ما أنا صاير » ص ٦٢ ·